الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر

تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

الموسومة ب :

آل العزفي حكام سبتة و دورهم في دعم الحركة العلمية (647-728هـ/1239-1327م)

إعداد الطالبة :

عامر إيمان

إشراف الأستاذ

شباب عبدالكريم

لجنة المناقشة

الرقم	الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
1	ارزيوي زينب	سعيدة	رئيسا
2	شباب عبدالكريم	سعيدة	مشرفا
3	قدوري عبد الحميد	سعيدة	مناقشا

السنة الجامعية

1438/1437هـ الموافق 2016/ 2017م

شكر و تقدير

إلهي لا يطيب الليل إلاّ بشكرك و لا يطيب النهار إلاّ بطاعتك
و لا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك و لا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك
و لا تطيب الجنة إلاّ برؤيتك الله جلّ جلاله
إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمّة
إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيّدنا محمّد –صلى الله عليه و سلم–
و قبل أن أمضي أتقدم بأسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير و الاحترام
والشكر الكبير إلى الأستاذ المشرف "شباب عبد الكريم" الذي لم يبخل علينا
بتوجيهاته و سعة صدره في تذليل الصعوبات و أجمل ما يمكن أن نقول له
بشراك قول رسول الله –صلى الله عليه و سلم– "إنّ الحوت في البحر
و الطير في السماء ليصلون على معلم النّاس الخير"
كما لا ننسى بتوجيه خالص الشكر إلى كل أساتذة التاريخ الذين كانوا
خير عون و سند لنا كما أشكر السّادة أعضاء اللجنة المناقشة
الذين سيناقشون هذه المذكرة

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى من أحمل إسمه بكل فخر.....

إلى الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر

إلى والدي العزيز الغالي "بوعلام"

إلى من علمتني و عانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه،

عندما تكسوني الهموم

أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي

أمي الحنونة "منى"

إلى من شجعتني إلى الدراسة و وقفتا جنبي لتحدي الصعاب

"نور الهدى" و "ابتسام"

إلى الروح التي سكنت روحي،

إلى قرة عيني و رفيق دربي أخي "عبد الصمد"

و إلى كل من ساعدني من قريب و بعيد

و إلى كل طلبة معهد التاريخ دفعة 2017م

"إيمان"

تعد أسرة آل العزفي إحدى ابرز الأسرالسبتية التي لعبت أدوارا مهمة في الحياة الفكرية و الدينية و الثقافية من خلال رجالها و إسهاماتهم في مجال الإفتاء

و القضاء و أغنائهم للمشهد الأدبي و حتى السياسي , فهي أسرة منتجة معرفيا

و قديمة في مدينة سبتة

إذ تركوا بصمة واضحة في مجالات عملهم مما يدل على عمق عطائهم و التزامهم و دأبهم على خدمة أبناء جلدتهم

تنتسب أسرة آل العزفي إلى المناذرة اللخميين من عرب اليمن الذين استقروا بسبتة حيث عرفت بالعلم أولا حتى منتصف القرن السابع الهجري ثم بالعلم و السياسة معا حتى أواخر العقد الثالث من القرن الثامن

دوافع البحث :

لقد دفعتنا أسباب موضوعية و ذاتية اختيار لهذا الموضوع "**آل العزفي في حكام سبتة و دورهم في دعم الحركة العلمية**".

الأسباب الموضوعية :

- معرفة الدور الذي لعبته أسرة آل العزفي على الصعيد العلمي.
- الإطلاع على تاريخ الأقوام التي كانت سياقة في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.
- معرفة الدور الذي لعبه حكام سبتة خلال القرن 7هـ-8هـ على الصعيد السياسي و المعرفي.

الأسباب الذاتية :

هي الرغبة في معرفة تاريخ أشهر الحكام في سبتة الذي تميزوا بالعلم والمعرفة و الزهد و الورع.

أهداف البحث :

البحث في أسباب بروز أسرة آل العزفي على الصعيد العلمي خلال منتصف القرن 7هـ ثم بالعلم و السياسة معاً حتى أواخر العقد الثالث من القرن 8هـ.

إشكالية البحث :

الإشكالية التي تتبادر إلى ذهن كل دارس لهذا الموضوع هو الكشف عن الدور الحضاري الذي لعبته أسرة آل العزفي و الوقوف على أهم الآثار المترتبة عن ذلك وانطلاقاً من هذه الإشكالية طرحنا التساؤلات التالية :

- ما هي أسباب و عوامل قيام إمارة العزفيين؟
- ما هو الدور الذي لعبته على المستوى العلمي؟
- و ما هي الأسباب التي أدت أسرة العزفيين إلى ابتداع البدعة الحسنة في الاحتفال بالمولد النبوي؟
- و كيف كانت طريقة الاحتفال به؟
- و ما هو موقف العلماء إزاء هذا الاحتفال؟

و للإجابة على هذه التساؤلات و غيرها اعتمدنا على خطة بحث تضمنت بعد مقدمة فصلين، فأمّا الفصل الأوّل فقد تطرقنا إلى : نشأة و تكوين إمارة العوفيين بسبتة، أمّا الفصل الثاني فقد تطرقنا إلى :

- الحركة العلمية بإمارة العزفيين.
- و قد فرضت علينا طبيعة الموضوع الاعتماد على جملة من المناهج فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي من أجل تتبع الزمن كرونولوجي لهذه الفترة الزمنية و اعتمدنا على المنهج الوصفي.
- أما الصعوبات التي واجهتنا أثناء هذه الدراسة هي قلة المراجع المتخصصة في هذه الفترة خاصة في المجال العلمي.

المصادر و المراجع :

لقد فرضت علينا طبيعة الموضوع على جملة من المصادر :

- كتاب : محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار.
- كتاب : أبي العباس أحمد بن محمد بن عذارى، البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس و المغرب.
- كتاب : لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة.
- كتاب : عبد الرحمن بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

بالإضافة إلى هذه المصادر اعتمدنا إلى جملة مراجع تصب في صلب الموضوع و منها :

محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار.

محمد بن ثاويت، تاريخ سبتة.

محمد الشريف، سبتة الإسلامية.

المطلب الأوّل : نشأة الإمارة

شكلت حالة الضعف والوهن التي دبت في أوصال جسم دولة الموحدين و بوجه خاص بعد موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م[1] دافعًا قويًا لتحوّل بعض مدن المغرب الاسلامي ومنها سبتة[2] عن طاعتها و تقديم ولائها لقوة جديدة تمثلت بالدولة الحفصية التي قامت في إفريقية (تونس) سنة 625هـ/1227م، إذ تقدم أهالي سبتة و أرسل حاكمها المعروف بابن خلاص البلنسي سنة 643هـ/1245م، وفدًا برئاسة ابنه في أسطول يحمل هدية إلى الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي، و لكن الأسطول غرق بما فيه و كان رد الأمير الحفصي إرسال ابن أبي خالد البلنسي، و ابن الشهيد الهنتاني، لحكم سبتة و ذلك في سنة 644هـ/1246م[3].

[1] **معركة وقعت** بين الموحدين والمماليك النصرانية **في** إسبانيا **جنوب الشارات** (سيرامورينا). للمزيد عنها، ينظر: **محمد بن عبد المنعم** الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،ج1 ،ط1 ، **دار السراج** ، بيروت ،1975 -1968 ،ص 446

[2] **مدينة سبتة : في سنة تسع عشرة و ثلاث مائة**: افتتح الناصر لدين الله الأموي مدينة سبتة، على بحر الزقاق من برّ العدوة، التي هي نظام باب المغربين، و مفتاح باب المشرقين. للمزيد ينظر : **أبي العباس أحمد بن محمد بن عذارى**، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب، ج1، ط1 ، **دار الغرب الإسلامي، تونس**، 1434ه - 2013م ، ص 212، و ينظر أيضًا إلى : أبي يحي عبد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (617هـ-694هـ)، **أمثال العوام في الأندلس**، محمد بن شريفة ، ج2 ،ط1 ،منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الاصلي ، فاس ،1975 ، ص152

[3] أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، البيان المعرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفينسال ، ج3 ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،1983م ،ص379

و لكن ابن أبي خالد تمادى في ظلمه وطغيانه لأهل سبتة؛ وهذا ما أثار الحقد والضغينة بينه و بين قائد الأسطول أبي العباس أحمد الرنداحي[1]، و لما توفي الأمير أبو زكريا الحفصي و بويع ابنه الملقب بالمستنصر وجد السبتيون الفرصة للتخلص من تبعيتهم للحفصيين بعد أن ضاقوا ذرعًا من ظلم و جور ابن أبي خالد، و تغافل ابن الشهيد، فاجتمع القائد الرنداحي مع الفقيه أبي القاسم العزفي[2]، و عرضه على التخلص من ابن خالد و ابن الشهيد و جعل رئاسة سبتة بيده، و وعده بأخذ الأمر على عاتقه و تحقيق هذه المهمة بنفسه و وافقه أبو القاسم العزفي و قام الرنداحي بوضع خطة تم بموجبها القبض على ابن أبي خالد و قتله و تعليقه على سور المدينة، و نفي ابن الشهيد إلى الأندلس[3].

و أعلن أبو القاسم العزفي إمارته على سبتة واستقلاله بها و ذلك في سنة 647هـ/1248م أيام الخليفة عمر المرتضي الموحدي (647-665هـ/1249-1266م)[4]، ثم قام بضم طنجة حيث تقدم أهلها بطاعتهم إليه عندما رأوا ضعف و تدهور سلطة الموحدين و ظهور قوة المرينيين، فقام بإرسال قوة من الرجال و الرماة على رأسهم القائد أبو الفضل العباسي وكان من كبار أعيان سبتة و بصحبته يوسف ابن محمد بن الأمين و بعد توطيد الوضع في طنجة، عاد القائد أبو الفضل إلى سبتة و ترك ابن الأمين واليًا عليها[5].

---

[1] **أحمد الرنداحي** : و يذكر بلسم جحفون الرنداحي، تولى مهمة قيادة الأسطول منذ عهد عمر المرتضى الموحدي، واستمرت هذه الخطة بيد أسرة الرنداحي إلى نحوسنة 720هـ/1320م. (ينظر: محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربيةفي عصر بني مرين، ط3، كلية الآداب بالرباط ، 1420هـ-2000م ، ص79

[2] **هو أبو القاسم** : محمد بن القاضي المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن الفقيه الإمام علي بن محمد الشهير بابن أبي عزفة اللخمي، ينتهي نسبهم إلى قابوس بن النعمان بن المنذر، ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2 ، إحياء التراث الإسلامي ، الرباط ، 1978م، ص274.لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3 ،ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1973م ، ص11

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 400-401، عبد الرحمن بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7 ، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، 1971، ص186.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 400.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 415.

و بعد مرور سنة، استبد ابن الأمين بطنجة و انشق عن العزفي و دعا للحفصيين أصحاب إفريقية (تونس) ثم للخليفة العباسي في بغداد و أخيراً لنفسه[1]، و لكن سرعان ما عادت طنجة إلى طاعة العزفيين، و ذلك في سنة 665هـ/1266م إذ بعد أن ملك بنو مرين المغرب الاسلامي داخل طنجة ثلاثمائة فارس منهم و استوطنوا فيها و ضيقوا على أهلها و أمنعوا في إيذائهم، فطلب ابن الأمين منهم أن يكفوا أذاهم عن الأهالي مقابل دفع مبلغ من المال لهم، و لكنهم أضمروا الغدر لابن الأمين و قتلوه فثار عليهم عامة طنجة وقتلوهم و اجتمعوا حول ابن (ابن الأمين)، و لكنهم خافوا من عقاب و قصاص بني مرين لهم، فخاطبوا أبا القاسم العزفي و طلبوا نجدته، فأرسل إليهم قواته براً و بحراً و أعاد طنجة إلى ملكه، و عين والياً عليها يعرف بابن حمدان يشاركه في حكمها و إدارتها الملأ من أشرافها[2].

و ضم أبو القاسم العزفي إلى إمارته مدينة أصيلا حيث دخلتها قواته البحرية سنة 663هـ/1264م، و قامت بهدم أسوارها و قصبتها لأنّه خاف أن يسيطر عليها العدو ويتمنع فيها[3].

[1] إبن عذارى، المصدر السابق ،ج3، ص 415، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 186.
أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3 ، دار الكاتب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ص.34؛ و أنظر إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2 ، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1978، ص 21.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 415، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 186-187، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 34-35.

[3] علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة، الرباط ، 1972، ص 402، المقري ، المصدر السابق، ج2، ص 374.

المطلب الثاني : تطورات الأوضاع الداخلية في سبتة

استمرت رئاسة مؤسس الإمارة أبي القاسم العزفي مدة ثلاثين سنة حتى وفاته سنة 677هـ/1278م[1]، ثمّ خلفه في الحكم ابنه أبو حاتم أحمد بن محمد بن أحمد العزفي الذي دام حكمه سنة واحدة حيث تنازل عن الإمارة لأخيه أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي[2].

الذي وصف بأنّه كان من أهل الجلالة و الصيانة، عظيم الهيئة و الشأن، عالي الهمة و شديد البأس، معظمًا عند الملوك، بعيد النظر مطاع السلطان، حكم بلاده، وأدارها إدارة جيدة، و لكن حدث أن ثار عليه بعض أهله و أحاطوا بمركز حكمه، و لكنّه لم يتخذ أي إجراء ضدهم سوى أنّه خرج إليهم و تحدث معهم و أنكر عليهم فعلتهم، و سلمهم لقضاء الله سبحانه و تعالى حيث قال لهم :" قال رسول الله (ص) : كن عبد الله المقتول و لا تكن عبد الله القاتل " [3]

و استمر حكم أبي طالب لسبتة مدة سبع و عشرين سنة حتى خلع سنة 705هـ/1350م، و توفي مخلوعًا في فاس سنة 713هـ/1313م و جاء خلعه بخيانة وغدر من الأمير محمد بن الأحمر المعروف بالمخلوع[4].

---

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 11.

[2] أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، ج 2 ، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط ، 1974م، ص 432، المقري، المصدر السابق ، ج2، ص 377 ، الأنصاري، المصدر السابق، ص 115.

[3] هو محمد الثالث (ثالث ملوك بني نصر (701-708هـ/1302-1309م)). ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 228.

[4] هو محمد الثالث (ثالث ملوك بني نصر (701-708هـ/1302-1309م)). ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 228.

حيث وجه ابن عمه أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الذي داهم سبتة بأساطيله و احتلها وقبض على بني العزفي و نقلهم إلى الأندلس[1]

و لكن هذا الاحتلال لم يدم طويلاً، بل سرعان ما عاد العزفيون إلى بلدهم بعد أن استرد السلطان أبو الربيع سليمان (708–710هـ/1308–1310م) سبتة و أخرج بني الأحمر منها فاستأذنه بنو العزف بالسماح لهم بالعودة إلى المغرب و القدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس[2]، ثمّ عادوا إلى حكم بلادهم في عهد السلطان أبي سعيد عثمان المريني (710–731هـ/1310–1330م) حيث تولى رئاسة الإمارة أبو عمر يحيى بن أبي طالب سنة 710هـ/1310م و الذي كان على قدر كبير من الشجاعة، ولكن الظروف لم تكن تساعد على استرجاع بني العزفي لمجدهم الأوّل، و لهذا نجد أنّ الأمير أبا عمر لا يمكث في الإمارة إلاّ سنة و ستة أشهر ثم يخلع سنة 711هـ/1311م، و يعود ثانية إلى حكم إمارته سنة 714هـ/1314م، و يستمر في الحكم حتى وفاته سنة 719هـ/1319م[3].

و تولى الإمارة من بعده ابنه أبو القاسم محمد بن يحيى، و كان آخر أمراء البيت العزفي، فقد خلع بعد ستة أشهر من حكمه في سنة 720هـ/1320م و غادر إلى غرناطة ثم انتقل إلى فاس و عمل كاتباً لبني مرين، و زهد في تولي المناصب الكبرى في الحكم، فقد أراد السلطان أبو عنان فارس المريني (752–759هـ/1352–1358م) أن يستعمله على

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص. 228 ، ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص 433، المقري، المصدر السابق ، ج2، ص 377؛ الأنصار، المصدر السابق، ص 45، الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 82؛ و أنظر: يوسف شكري فرحان، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية) ، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت ،1982، ص.38.

[2] الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 113.

[3] المقري، المصدر السابق، ج2، ص 377.

قسنطينة لكنّه اعتذر لبعد الشقة عن ولده و بلده، و بقي يعمل كاتبًا بالحضرة المرينية حتى وفاته[1].

و تغلب على الإمارة من بعده ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم الذي كان يعمل قائدًا للبحرية في سبتة مكان القائد يحيى الرنداحي الذي رحل إلى الأندلس، وقد اضطربت أحوال سبتة في عهده، و اختلط الأمر على بني العزفي، فانتهز السلطان أبو سعيد المريني الفرصة و زحف بقواته إلى سبتة، و أسقط إمارة العزفيين و ذلك في سنة 728هـ/1327م[2].

[1] ابن القاضي، المصدر السابق ،ج1، ص.300؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص.378؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص115، محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2 ،ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء ،1983، ص 409-410.

[2] الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 115.

المطلب الثالث : علاقات إمارة العزفيين

أ. العلاقة بين إمارة العزفيين و دولة الموحدين في المغرب :

اتسمت العلاقة بين إمارة العزفيين و دولة الموحدين في المغرب بكونها علاقة طيبة قائمة على أساس التعاون و الاحترام المتبادل بينهما. فقد تمتع الأمراء العزفيون بحكمة وكياسة. فعلى الرغم من الاستقلال شبه التام الذي كانوا يتمتعون به في إمارتهم، فإنّهم كانوا على اتصال بمن بقي من البيت الموحدي معترفين بسلطانهم، فنرى مؤسس الإمارة أبا القاسم يخاطب الخليفة المرتضى في كل الأوقات، و يطلعه على أحوال إمارته، ففي بداية تأسيسه الإمارة أرسل بكتاب إليه يطلب منه إرسال مندوب من الموحدين للإشراف على حكم الإمارة فبادر المرتضى بإرسال ابن الشرقي، و لكن بعد أشهر أخرجه أبو القاسم من سبتة و كتب إلى المرتضى يشرح له أسباب ذلك، لما بدر من ابن أشرقي من أفعال مشينة، فصدق المرتضى قول أبي القاسم[1].

و في سنة 655هـ/1255م غدر القطراني[2] بالموحدين و انحاز إلى المرينيين وساعد الأمير أبا يحيى بن عبد الحق المريني على دخول سجلماسة و احتلالها و القبض على واليها، مقابل تعيينه والياً عليها. و قد نفذ الأمير أبو يحيى وعده و عينه والياً و جعل معه شخصاً من بني مرين مع جملة من الفرسان و الرجال[3] و لكن بعد أن تعاظم أمره وكثر أتباعه و ازدادت قوته، و جاءه خبر موت الأمير أبي يحيى المريني سنة 656هـ/1256م، ثار القطراني على الدولة المرينية و استبد بسجلماسة و في الوقت نفسه، خاطب المرتضى

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 414.

[2] **أبو يحيى محمد القطراني**، لقب بالقطراني لأنّ والده كان يشتغل في شبابه و شيخوخته بالقطران. وقد وصف بأنّه كان ذا نفس خبيثة وغدارة و ذا أطماع سياسية. للمزيد ينظر :إبن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص 416-417.

[3] إبن عذارى ،المصدر السابق، ج3، ص 416-417، الناصري، المرجع السابق ، ج3، ص 18-19.

الموحدي معتذراً له عما بدا منه من انحياز لبني مرين، و متقدماً له بطاعته و ولائه لدولة الموحدين[1].

بشرط استقلاله في سجلماسة فوافقه المرتضى، و أرسل له الفقيه أبا عمر بن حجاج قاضياً، و جمعاً كبيرا من جنده، و سيداً من الموحدين يسكن في سجلماسة من غير استبداد. و قد استقبل القطراني القاضي ابن حجاج و الجند، و صرف السيد و من كان معه من الموحدين. و كان قد اتفق المرتضى مع القاضي ابن حجاج و قائد الجند على قتل القطراني بالحيلة. و قد تمكن قائد الجند من قتله، و عندما هدأت أوضاع سجلماسة واستقرت، كتب المرتضى بخبر القضاء على القطراني إلى أبي القاسم العزفي.[2]

و في سنة 658هـ/1258م بعث أبو القاسم العزفي برسالة إلى المرتضى، وأهالي السواحل، يحذرهم فيها من الاستعدادات البحرية لنصارى قشتالة و ملكهم في وادي إشبيلية بهدف احتلال مدينة سلا. فمن صدق بتحذير العزفي خرج من المدينة، و من تأخر ولم يصدق به قتل أو أسر، بعد أن تمكن نصارى قشتالة من مداهمة المدينة و الاستيلاء عليها، و استباحتها، حيث قتلوا من وجدوا فيها من الرجال، و أسروا النساء و الأطفال، وخربوا المساجد و الديار. و بعد أن وقع ما حذر منه العزفي، وجه الخليفة المرتضى كتاباً إليه يشكره فيه على تحذيره من أمر النصارى، و يسأله أن يكون متيقظاً من غدرهم[3]، و هذا بعض من فصول كتابه :

- وإنا كتبناه إليكم – كتب الله لكم أحمد عاقبة و أجملها و اكتف كلاءة و أكلأها و أن تعلموا أنّا نعتمد بولائكم الخالص، و نحفظ ما لكم و لسلفكم من السوابق والخصائص و نشكر نصائحكم التي ما زلتم إيّاها تبذلون و خدمتكم التي توالون وتصلون... و

[1] ابن عذارى، المصدر نفسه ، ج3، ص 417-419.
[2] ابن عذارى، المصدر نفسه ، ج3، ص 417-419.
[3] إبن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص 423–424.

الله يتولاكم بحفظه و صونه... و قد طرأ في مدينة سلا جبرها الله سبحانه و استنقذها ما قد اتصل بكم مما كنتم أبدًا منه تحذرون و به لعلكم بزيادة العدو تتذرون[1].

و أرسل المرتضى كتاب شكر إلى أبي القاسم العزفي تثمينًا لما أبداه من جهد في تقديم النصيحة و الحذر و التيقظ من الأعداء، عندما كشف سنة 658هـ/1258م، عن محاولة النصارى إخراج المسلمين من مدينة شريش[2].

و أخذ الخليفة المرتضى برأي أبي القاسم العزفي بإقامة المولد النبوي و الاحتفال به، و قبل هديته و هي عبارة عن كتابه الموسوم الدر المنظم في مولد النبي العظيم[3].

ب. العلاقة بين إمارة العزفيين و دولة المرينيين في المغرب :

بعد أن تم للسلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (656-685هـ/1256-1258م) إخضاع معظم أجزاء المغرب العربي و أنهى دولة الموحدين، بقيت سبتة و طنجة و سجلماسة خارجة عن حكمه و سلطته، فقرر إخضاعهم قبل أن يبدأ بمهمة الجهاد في الأندلس حتى لا تمتد الثورة من هذه المعاقل إلى باقي المغرب. فبعد أن عاد من حصار تلمسان، توجه لحصار طنجة التي كانت تحت حكم العزفيين و حاصرهم مدة ثلاثة أشهر ثم ساعده على فتحها سهول مسلكها و مساعدة بعض جنودها الذين رفعوا راية الاستسلام و نادوا بشعار بني مرين بسبب خلاف وقع بينهم، فاستغل الجند المريني الفرصة، وسارعوا إليهم و تمكنوا من اقتحام طنجة عنوة و إعطاء الأمان لأهلها و ذلك في سنة 672هـ/1273م، و لما فرغ من أمر طنجة، أرسل ولده الأمير يوسف إلى سبتة فحاصرها، و لكنّها صمدت ثم وقعت معاهدة صلح بين الأمير أبي العباس العزفي والسلطان

[1] إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 425-426.
[2] ’بن عذارى ، المصدر السابق، ص 430.
[3] إبن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص 430.

أبي يوسف المريني بشرط أن يحتفظ الأوّل بحكم سبتة و استقلال بني العزفي فيها لقاء خراج سنوي يؤديه إلى السلطان المريني[1].

ثمّ وضع العزفيون يدهم بيد المرينيين في جهادهم ضد النصارى في الأندلس، مدفوعين بروح الغيرة الإسلامية لا بقصد التبعية للمرينيين[2]، و لكن بعدما تعرضت إمارتهم إلى الاحتلال من قبل بني الأحمر و استردادها من قبل بني مرين[3]، تحولت العلاقة من علاقة استقلال و تعاون إلى علاقة طاعة و تبعية حيث قام المرينيون بعدة محاولات من أجل استرداد سبتة من أيدي بني الأحمر: فقد قام السلطان أبو يعقوب يوسف (685-706هـ/1286-1306م) بإرسال جيش بقيادة ابنه الأمير أبي سالم، لكنّه فشل[4].

ثمّ نهض السلطان أبو ثابت عامر (706-708هـ/1306-1308م) سنة 707هـ/1307م، قاصداً سبتة التي كان عليها عثمان بن أبي العلاء المعين من قبل بني الأحمر حيث قام في محرم سنة 708هـ/1308م بإرسال غارات على نواحي سبتة، ثم أمر باختطاط و بناء مدينة تطوان[5] من أجل اتخاذها قاعدة لجيشه المعد لمهاجمة سبتة...

و في الوقت نفسه أرسل كبير الفقهاء أبا يحيى بن أبي الصبر إلى ابن الأحمر يفاوضه في أمر التخلي عن سبتة، و بينما كان ينتظر الجواب مرض السلطان أبو ثابت وتوفي في طنجة في شهر صفر 708هـ/1308م، و تولى الحكم من بعده أخوه أبو الربيع الذي جهز جيشًا كبيرًا بقيادة تاشفين يعقوب الوطاسي، لاسترداد سبتة بعد أن ضاق أهلها ذرعًا بحكم بني الأحمر، منتهزًا فرصة غياب الوالي عثمان بن أبي العلاء وعبوره إلى الأندلس بقصد الجهاد. و لمّا أحس أهل سبتة بقدوم الجيش المريني، تنادوا بشعار بني مرين

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 187؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 35.

[2] محمد بن تاويت، "تاريخ سبتة"، ط1، ، دار الثقافة، الدار البيضاء ، 1982، ص 123.

[3] تفاصيل احتلال سبتة، في مبحث العلاقة بين إمارة العزفيين و دولة بني الأحمر في غرناطة، ص 10-11.

[4] الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 82.

[5] **تطوان :** هي مدينة تطوان القديمة، بنيت سنة 685هـ/1286م أيام دولة يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، ثم بنى عليها أبو ثابت هذه المدينة. (م ن/ج3/ص 96).

و ثاروا على من كان بسبتة من حامية ابن الأحمر و أخرجوهم منها، و ذلك في سنة 709هـ/1309م. و عندما وصل الخبر إلى ابن الأحمر

(أبي الجيوش نصر بن محمد) خشي من بني مرين و أرسل وفداً إلى السلطان أبي الربيع يطلب منه الصلح و يسترضيه بالتنازل له عن الجزيرة الخضراء ورندة وحصونها، و قد وافق أبو الربيع على الصلح و وطد علاقته بابن الأحمر بزواجه من أخته، و إرسال المدد و المساعدة له بتجهيز جيش و إرساله إلى الأندلس[1].

أما بنو العزفي، فقد استأذنوا السلطان أبا الربيع في الرجوع إلى المغرب فأذن لهم واستقروا في فاس، و كان أبو زكريا يحيى، و أبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم... أحمد العزفي يرتادون مجالس العلم بمسجد القرويين في فاس، و هناك التقيا بالسلطان أبي سعيد أيام حكم أبيه من قبله، و تودد إليهما و ربطتهما به علاقة صداقة قوية. و لما اعتلى كرسي الحكم، رعى لبني العزفي تلك الصداقة و عقد لأبي زكريا على سبتة و ردهم إليها، فقدموها سنة 710هـ/1310م و أقاموا فيها دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته[2].

و لكن العزفيين أبعدوا عن إمارة سبتة سنة 713هـ/1313م، عندما فوض السلطان أبو سعيد جميع شؤون الدولة إلى ابنه الأمير أبي علي، فقام بتعيين ابن زكريا حيوة بن أبي العلاء القرشي على سبتة و عزل أبا زكريا يحيى العزفي، و أبعده إلى فاس وبصحبته والده أبو طالب و عمه أبو حاتم، و استقروا هناك. و لكن بعد انتفاضة و تمرد الأمير أبي علي على أبيه في فاس، ترك كل من أبي زكريا يحيى بن أبي طالب العزفي وأخيه أبي زيد، فاس

[1] الناصري ، المرجع السابق، ص ص 95-97.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 239؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، صص87، 100–101.

و التحقا بالسلطان أبي سعيد الذي قام بإعادة أبي زكريا ثانية إلى إمارة سبتة في سنة 714هـ/1314م[1].

بعد أن أخذ والده محمد بن أبي زكريا رهينة عنده من أجل استمرار طاعة العزفيين لدولة بني مرين، ولكن أبا زكريا خلع طاعتهم في سنة 716هـ/1316م، وأعلن استقلاله بسبتة، فوجه السلطان أبو سعيد جيشا بقيادة الوزير إبراهيم بن عيسى البريناني فحاصر سبتة[2].

و تقدم إليه أبو زكريا يعلل له سبب خلعه طاعة المرينيين لحبس ولده عنه ومفارقته له، وأنه إذا ما عاد إليه فإنه يعود إلى طاعة المرينيين، فأعلم الوزير إبراهيم البريناني السلطان بذلك، فأرسل إليه بالولد ليسلمه إلى أبيه[3]. و عاد أبو زكريا في السنة نفسها إلى طاعة السلطان أبي سعيد، الذي قدم إلى طنجة لاختبار طاعة أبي زكريا فبان له صدقه وأبقاه على إمارة سبتة. واشترط أبو زكريا على نفسه حمل الجباية والهدايا إلى السلطان في كل سنة، واستمر الحال على ذلك إلى أن توفي الأمير أبو زكريا سنة 720هـ/1320م[4].

و تولى الحكم من بعده ابنه الأمير محمد بن أبي زكريا[5] الذي تغلب عليه ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم قائد البحرية في سبتة. و في عهده اضطربت ظروف سبتة و أحوال بني العزفي، فاستغل السلطان الفرصة لضم سبتة و إنهاء حكم العزفيين وذلك سنة 728هـ/1327م[6].

---

[1] الناصري ، المرجع السابق، ص 113.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص.339–400.

[3] إبن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 400، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 246، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 114.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص.241؛ الناصري، المرجع نفسه، ج3، ص.114.

[5] الناصري، المرجع نفسه ، ص ص.113-114.

[6] ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص.300.

ت. العلاقة بين إمارة العزفيين ودولة بني الأحمر في غرناطة :

تعرضت سبتة في عهد العزفيين لخطر بني الأحمر، فقد كانت العلاقة بين الأمير أبي القاسم العزفي و الأمير أبي عبد الله بن الأحمر علاقة فتنة و عداء. ففي سنة 662هـ/1263م، وجه ابن الأحمر حملة بحرية بقيادة المدعو ظافر لمحاصرة سبتة والاستيلاء عليها، و تقدمت السفن البحرية و دخلت ميناء سبتة على شكل دفعات وأحكموا الحصار على سبتة و قطعوا الطرق الواصلة إليها فوجه أبو القاسم العزفي أمره إلى قائد البحرية أبي العباس الرنداحي بأخذ الاستعدادات و تعمير جميع سفن سبتة لمواجهة العدو، والتحم الفريقان. و كان النصر للرنداحي حيث أسر و قتل عدداً كبيراً منهم من ضمنهم القائد ظافر حيث ألقيت جثته في البحر، و طيف برأسه في سبتة، و قد سمي هذا العام في سبتة بعام ظافر[1].

و على الرغم من علاقة العداء، لم يتوان العزفيون –بدافع الغيرة الإسلامية– عن تقديم يد العون و المساعدة لبني الأحمر في ظروف المحن و الشدة. من ذلك مثلاً ما حصل في أواخر أيام الأمير أبي القاسم العزفي، حيث أرسل محمد الفقيه بن الشيخ محمد بن يوسف بن الأحمر وفداً إلى السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق يشرح له مخاطر النصارى التي تحيط بالبقية الباقية من الأندلس، فسارع السلطان يعقوب لنصرته في سنة 673هـ/1274م، و خرج من فاس إلى طنجة و طلب معونة أبي القاسم العزفي، فزوده بعشرين سفينة من الأسطول السبتي. و قد حقق الأندلسيون بهذا الأسطول النصر المؤزر[2].

و في سنة 678هـ/1229م، حوصرت الجزيرة الخضراء من قبل أساطيل ملك النصارى ألفونسو العاشر حاكم قشتالة، فأرسل ابن الأحمر يطلب النجدة من السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الذي قام بتوجيه نداء إلى جميع الثغور يطلب منهم تزويده

[1] الناصري، المرجع السابق، ج3، ص.113–115.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص.401.

بالسفن الحربية. فكان أمير سبتة أبو حاتم العزفي أول من لبى نداء السلطان و قام بتزويده بخمسة و أربعين سفينة، كما استنفر جميع أهل سبتة و حثهم على الجهاد، فركبوا البحر بأجمعهم و لم يبق بسبتة إلاّ النساء و الأطفال والشيوخ[1].

و في سنة 684هـ/1285م عبر الفقيه قاسم بن الأمير أبي القاسم العزفي على رأس خمسمائة رام من أهل سبتة إلى الأندلس برسم الجهاد إلى جانب السلطان المريني يعقوب، وقد قاموا بالإغارة على حصن من حصون القشتاليين، و سبوا ثمانين شخصاً، وكرروا إغارتهم على حصون أخرى و غنموا و قتلوا عدداً كبيراً منهم[2].

و في السنة نفسها بعث السلطان حفيده الأمير أبا علي منصور بن عبد الواحد على رأس مجموعة من المجاهدين، كان من بينهم مائة من رماة سبتة، إلى حصن من حصون النصارى كان بينه و بين المحلة نحو ثمانية أميال، كان أهله يقومون بقطع الطريق على من خرج من المحلة منفردا أو في قلة، فزحف المجاهدون نحو الحصن و تمكنوا من اقتحامه عنوة، و قتلوا و أسروا عددا كبيرا من الرجال و غنموا ما كان فيه، ثم قاموا بهدمه و نسفه[3].

ثمّ وصلت في السنة نفسها أخبار تقدم الأسطول النصراني و حصاره لمضيق جبل طارق حتى يمنع عبور السلطان يعقوب و هو في طريقه إلى المغرب، فعاد مسرعاً إلى جزيرة طريف و استنجد بأسطول المغرب، و كانت سبتة أول من جهزته بالإمدادات إلى جانب طنجة و رباط الفتح و موانئ الريف، زيادة على إمدادات الجزيرة و المنكب وطريف. و استطاع هذا الأسطول الذي بلغ تعداده ستا و ثلاثين سفينة رد أساطيل العدو، وانقلب

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص 313–314، ابن تاويت، تاريخ سبتة، صص 120–121.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص 330–331.

[3] إبن أبي زرع ،المصدر السابق ، ص ص 345–347؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 59، و ينظر أيضاً مزاحم علاوي، الدور السياسي و العسكري ليعقوب بن عبد الحق في بلاد الأندلس، المؤرخون العرب، بغداد، عدد 18، 1989م، ص 99.

على أعقابه؛ مما مكن السلطان من الرجوع إلى الجزيرة الخضراء ليستعرض أسطوله الذي قام بمناورات حربية أمامه[1]

و في سنة 703هـ/1304م، تواطأ ابن الأحمر محمد بن الفقيه المعروف بالمخلوع مع ملك قشتالة فرديناندو الرابع على مسلمي أهل المغرب، و أوعز إلى ابن عمه أبي سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة بمداهمة سبتة بالحيلة، فاحتلها بغتة و ذلك سنة 705هـ/1305م و قبض على بني العزفي و حاشيتهم و نقلهم إلى مالقة ثم غرناطة، واستبد أبو سعيد بأمر سبتة و أطرافها و سد جميع ثغورها. واستمر حكم بني الأحمر لسبتة حتى سنة 709هـ/1309م[2] عندما استرجعت من قبل السلطان المريني أبي الربيع، وعودة بني العزفي إليها[3].

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص 348–349، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 60.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص 357-358، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 61-62، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 27.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 228؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 82.

المطلب الرابع : سقوط إمارة العزفيين

بعد وفاة الأمير أبي زكريا يحيى بن أبي طالب العزفي سنة 719هـ/1319م تولى الحكم ابنه الأمير أبو القاسم محمد بن أبي زكريا العزفي[1]، فكانت دولته ستة أشهر إذ خلغ سنة 720هـ/1220م، و توفي بفاس هو كاتب الحضرة المرينية[2] وسيطر على الإمارة ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم الذي خلف يحيى الرنداحي في قيادة الأساطيل لسبتة. و قد عمت الفوضى و اضطربت أحوال سبتة في عهده، فانتهز السلطان المريني أبو سعيد الفرصة، و جهز جيشا قاده بنفسه و توجه نحو سبتة، فتمكن من احتلالها، و ذلك في سنة 728هـ/1327م. فبادر بنو العزفي وجموع أهالي سبتة بتقديم فروض الطاعة و الولاء للسلطان أبي سعيد الذي قام بتعيين كبار رجالاته و خواص مجلسه في إدارتها، إذ عين حاجبه عامر بن فتح مدين العثماني على جبايتها، و النظر في مبانيها و إخراج الأموال للنفقات فيها و كافأ الملأ من مشيختها بتقديم الهدايا و الإقطاعات لهم، ثم عاد إلى عاصمته سنة 729هـ/1328م[3].

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، صص 11-12، ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 378.
[2] المقري، ازهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص 378.
[3] الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 115.

المطلب الأوّل : الدور الحضاري لإمارة العزفيين

احتلت أسرة العزفيين مكانة علمية مرموقة لما كان لأفرادها من اهتمامات علمية متنوعة خاصة في المجال اللغوي و الأدبي و الديني، فقد ورثوا الفضل و العلم صغارهم عن كبارهم. لذا فقد تمتعت سبتة في عهدهم بنشاط علمي ملحوظ لحبهم و مراعاتهم للعلم والعلماء. فقد كان والد مؤسس الإمارة أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد العزفي المولود سنة 557هـ/1161م، عالمًا و قاضيًا و محدثًا. إذ قيل في حقه : برز علمًا و عملاً ودراية و رواية، و جمع خصالاً من الفضل جمة، و لزم التدريس بجامع سبتة مدة عمره، ورحل الناس إلى الأخذ عنه و الاستفادة منه[1].

و كان أوّل من أحدث ودعًا إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في المغرب الاسلامي. و قد ألّف كتابًا في هذا الموضوع بعنوان "الدر المنظم في مولد النبوي المعظم"، ولكنّه توفي سنة 636هـ/1238م، قبل أن يكمله[2].

و قام ابنه مؤسس الإمارة أبو القاسم العزفي بإكمال الكتاب و إخراجه بنسختين صغرى و كبرى، و هو يميز في هذه الأخيرة كلام والده فيترجم عليه بـ"قال المؤلف"، ثمّ يعنون زياداته بكلمة "قلت"[3] و تدريسه بنفسه، و إعطاء الإجازة فيه، و كان من الذين أجازهم الخطيب أبو علي بن الخطيب أبي فارس بن غالب الجمحي مع جماعة من أهل سبتة و أعيانها، حين قرأوه عليه بالجامع الأعظم في سبتة سنة 657هـ/1258م[4].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 228، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص 82.

[2] محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2 ،ط1 ، دار الثقافة، الدار البيضاء،1983 ص401.

[3] المقري، المصدر السابق، ج2، صص 39-243، عباس الجراري، الأدب المغربي، ج1 ،ط2 ، مكتبة المعارف، الرباط،1979 ، ص 145.

[4] المنوني، المرجع السابق، صص 266–267.

و قام أبو القاسم العزفي بإهداء كتاب "الدر المنظم" إلى الخليفة الموحدي المرتضى (646–668هـ/1248–1269م) حيث كان أديبًا و شاعرًا ظريفًا فردد في شعره ما دعا إليه أبو العباس العزفي في سبتة من إقامة المولد النبوي و الاحتفال به حيث قال :

وافى ربيع قد تعطر نفحه ... ... أزكى من المسك العتيق نسيما

بولادة المختار أحمد قد بدا ... ... يزهو به فخرا وحاز عظيما

بشرى بشهر فيه مولده الذي ... ... ملأ الزمان علاؤه تعظيما[1]

و كان لأبي القاسم العزفي اهتمامات علمية مختلفة. فقد كان فقيهًا أصوليًا نحويًا، لغويًا، محدثًا، عارفًا بالرواية وشاعرًا مجيداً[2].

و تتلمذ على يده العديد من الفقهاء و الأدباء بينهم علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري الملقب ابن قطرال[3].

و قد امتدح أبو القاسم العزفي من قبل الفقيه و الأديب إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري التلمساني، فقال :

أرأيت من رحلوا ورزقوا العيا ... ولا نزلوا على الطلول حسيساً

أحسبت سوف يعود نسف ترابها ... يوما بما يشفى لديك نسيساً

هل من مؤنس نارا بجانب طورها ... لانيها أم هل تحس حسيساً[4]

[1] **الحسن بن محمد الوزان، وصف** إفريقيا، ج2 ،ط2 ، الرياض، 1399هـ، ص 263.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 452.

[3] **ابن** الخطيب، **المصدر السابق**، ج4، صص 190-191.

[4] إبن الخطيب ،**المصدر السابق**، ج1، صص 326-328.

و كان لابنه الأمير أبي حاتم العزفي اهتمامات فقهية، وكان شيخا ومعلما لمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري[1].

و قد امتدحته الأستاذة الأديبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان الجلبية لاهتمامه وحبه للعلم و العلماء، إذ قدمت سبتة في أواخر القرن 7هـ/13م، و مما خاطبت به أبا حاتم :

بشراك يا نفس نلت السؤال والأملا ... ... و عاد دهرك بعد الجور قد عدلا

و نلت ما كنت طول الدهر تأمله ... ... و عنك أضحى العناد و البؤس مرتحلا

و قد وصلت إلى بحر الندى علم الهدى ... ... أبي حاتم ابن السادة الفضـلا

هو الذي صدره للعلم منشرح ... ... وأودع الله فيه علم ما جهـلا[2]

أمّا أخوه الأمير أبو طالب بن أبي القاسم العزفي، فكان من أهل الجلالة و الصيانة، حافظًا للقرآن و الحديث، عالمًا بالتاريخ، تتلمذ على يد الأستاذ أبي الحسين بن أبي ربيع[3].

و كان ابنه الأمير يحيى بن أبي طالب العزفي يجمع في شخصه اهتمامات علمية كبيرة. فقد كان فقيهًا فاضلاً، عارفًا بالأصول و الفقه و الحديث، اللغة و المنطق[4].

و متتبعًا طريقة أصحاب الحديث رواية و ضبطًا و تقييدًا و تخريجًا مع براعة في الخط، و كان شاعرًا مجيدًا ذا فكاهة. و قد تتلمذ على يد مشايخ في سبتة و خارجها قراءة وسماعًا و إجازة. فممن أخذ منهم من أهل سبتة أبو إسحاق التلمساني، و من الجزيرة الخضراء أبو جعفر بن الخميس[5].

---

[1] إبن الخطيب ،**المصدر السابق**، ج3، صص 200-201.

[2] إبن القاضي ، المصدر السابق ، ج2 ، صص 522–525

[3] **ابن القاضي، المصدر السابق**، ج2، صص.433؛ الأنصاري، **المصدر السابق**، ص 54.

[4] **المقري، المصدر السابق**، ج2، ص 377-378.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص 341.

و سار ابنه الأمير أبو القاسم محمد بن يحيى... العزفي على سيرة والده حيث كان فقيها وشاعرا مكثرا، مليح الفكاهات وشاحا. وقد برز أهل زمانه في موشحات؛ إذ روي عنه أنه أراق الدواة في محفل جليل فتدارك فعلته حيث قال :

ألا يا كرام الناس عضوا جفونكم ... ... فإني من الفعل القبيح مريب

هرقت دواة وهي كالكأس بينكم ... ... وللرضى من كأس الكرام نصيب[1]

و قد درس الطب و دون فيه، و وصف أنه كان من أهل الظرف و البراعة والطبع المعين، و الذكاء المتوقد[2].

انتقل من سبتة إلى غرناطة بعد أن خلع عن حكمها سنة 720هـ/1220م، و هناك اشتهر أدبه، لكنّه لم يطل المقام حيث عاد إلى المغرب و استقر في فاس و عمل في الخطط الفقهية و كتب عن ملوك بني مرين[3].

أمّا ابنه الأمير محمد بن محمد بن يحيى العزفي المكنى بأبي يحيى، فكان محباً لسماع الشعر و نظمه و كان صحبته بفاس في حضرة ملوك بني مرين. و من شعره قصيدة تائية في بحر الكامل في أربعين بيتاً رفعها لأبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني، بمدينة تلمسان حيث دخلها وفر حاكمها أمامه ومطلعها :

حن الشوق إلى ديار أحبته ... ... فسقى الثرى شوقا لذاك بدمعته

و امتازه وجدا هبوب نسيما ... ... لما سرى بيديه طيب تحيتـه[4]

و كان الأمير عبد الرحمن بن أبي طالب بن أبي القاسم العزفي المكنى بأبي القاسم فقيهاً و محدثاً، روى عن أبي جعفر بن الزبير، و القاضي ابن عبد الملك، و ابن خميس

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص 378، ابن تاويت، "الوافي بالأدب العربي"، ج2، ص 409.

[2] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص ص 11–12، ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 200.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص ص 11–12، ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 200، المقري، المصدر السابق، ج2، ص 278.

[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 307،، المنوني، المرجع السابق، ص 274.

وغيرهم، و قد ألف كتاباً بعنوان "الإشادة بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة"[1] الذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن الحكيم الغرناطي[2].

[1] ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص 398، المقري، "أزهار الرياض"، ج2، ص 359، و أنظر: ابن تاويت، "الوافي بالأدب العربي"، ج2، ص 402.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سعيد بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد اللخمي، من أهل رنده، عرف بابن الحكيم لأنّ جد والده كان علامًا بالطب، و كان ابن الحكيم على قدر كبير من الفضيلة و مكارم الأخلاق، محبًا للعلم و العلماء، حيث كان كاتبًا بليغًا، أديبًا، شاعرًا، خطاطًا، خطيبًا، أنظر المقري، "أزهار الرياض"، ج2، صص 340-341.

المطلب الثاني : الاحتفال بعيد المولد النبوي

هل الهلال و هلت معه بشائر السعد و الفرح و المحبة و تجديد الولاء و الانتساب لخير البرية سيّدنا محمد عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، إزدهى الكون بأحلى حلة وتزيين رونقًا و بهاءًا و نورًا، نسمات ندية عبقت جميع أرجائه، أمطار خير روت الأرض حتى ارتوّت و تزينت بحلل الخضرة السنّية الربيعية، شمس أرسلت خيوطها الذهبية و هي مبتسمة منيرة، ليل أرخى سدوله في حياء و احتشام لتأتي النجوم تتهاوى مضيئة في سمائه، و برق أومض في الظلماء احتفاء بسيد الكونين و الثقلين، و اهتبل المؤمنون و الصالحون من هذه الأمة بهذه المناسبة العطرة، كل تفنن في اختيار الطريقة المناسبة العطرة، كل تفنن في اختيار الطريقة المناسبة ليعبّر بها عما يخالج قلبه من مشاعر وأحاسيس المحبّة الصادقة لمقامه الشريف، فمتى ظهر الاحتفال بذكرى المولد النبوي المعظم في المغرب؟ و من كان له أجر السابقة في ابتداع هذه البدعة الحسنة؟

إلى جانب العيدين الدينيتين، عيد الفطر و عيد الأضحى احتفل السبتيون كذلك ببعض الأعياد الموسمية المعروفة بأسمائها الفارسية، مثل : "النيروز" أو (النوروز)، و"المهرجان" أو (العنصرة) الذي له علاقة بالنبي يحيى بن زكريا، كما كان الحال في المشرق، و كانت العادة ان تصنع حلويات بهذه المناسبة على شكل مدائن مسيحية أمّا فيما يخص المهرجان، فإن الطابع السحري، الديني الذي كان يرافق طقوسه الشعبية قد أضفى عليه طابع الغرابة و الطرافة، فقد كانت توقد[1] النار و يرشون المنازل بالماء و يتم إخراج الملابس لتبتل ليلاً، لقد صدمت هذه الاحتفالات و الطقوس المصاحبة لها فضلاً عن الإقبال الذي كانت تلقاه لدى سكان المدينة، حيث كان السبتيون المعاصرون لفقيهنا أبو العباس أحمد العزفي يعظمون شأن البدع الثلاث : الميلاد، و ينير، و المهرجان... فهم

[1] محمد الشريف، سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي و الاجتماعي (عصر الموحدين و المرينيين)، ط2، منشورات جمعية تطاون، آسمير، الرباط، 2006، ص 190-180.

يرتقبون مواقيتها، و يفرحون بمجيئها و استسهلوا هذه البدع حتى ألفوها و عظموها حتى صارت عندهم كالبدعة المتبعة و قد رأى العزفي أنّ من أعظم أسباب هذه البدعة و أقوى دواعيها مطاوعة الرجال للنساء على الاستعداد لها، و التفخيم لشأنها، و انقيادهم لهن في ذلك عاماً بعد عام حتى رسخت في صدورهم و تصورت في عقولهم و تاقت إليها أنفسهم[1].

إنّها الأسباب التي دفعت كبيرهم يومئذ أبو العباس أحمد بن محمد المتوفي عام 639هـ على عهد الخليفة الموحدي المرتضى كتاب "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" الذي أكمله ابنه الرئيس أبو القاسم المتوفي عام 677هـ[2].

و ذلك لدعوة بلدييه للتخلي عن مجاراة النصارى في احتفالاتهم، و تنبيهم على عيد ميلاد نبيهم المصطفى و عندما وصل إلى الحكم ابنه أبو القاسم محمد العزفي سنة 648هـ/1250م، قرّر في نفس السنة الاحتفال الأوّل في تاريخ الغرب الإسلامي، بعيد المولد النبوي، ليصبح بذلك أوّل من أدخل هذه المناسبة الدينية ذات المضاعفات السوسيودينية الكبيرة في تاريخ المغرب، و لقد أهدى كتاب للخليفة الموحدي المرتضي (توفي 665هـ/1266م) الذي أصبح يحتفل بعيد[3] المولد النبوي في مجالسه الناصة، وتمّ تعميم الاحتفال بهذا العيد رسمياً بالمغرب المريني في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف[4]، سنة 691هـ/1292م، بإشارة من الفقيه أبي طالب العزفي، ابن أبي القاسم أمير سبتة،

[1] محمد الشريف، المرجع السابق، ص 191.

[2] عبد الله كنون الحسني، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 45

[3] محمد الشريف، المرجع السابق، ص 191.

[4] يقول ابن مرزوق الخطيب أنّ أبا يعقوب المريني هو "أوّل مل قام بالمغرب بإقامة ليلة المولد النبوي الشريف، وكان العزفي، قد أقامه بسبتة و به وقع الاقتداء. أنظر : سلوى الزاهدري ، المناقب المرزوقية لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، ط1 ، وزارة الأوقاف ، و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1429هـ– 2008م

وتحت حكم السلطان المريني أبي سعيد سينضاف الاحتفال باليوم التاسع لمولده (ص) و بعد ذلك تكلفت الدولة بنفقات الاحتفالات بليلة المولد في سائر مناطق المغرب.

صفحات من كتاب الدر المنظم تصف أحوال المجتمع :

الورقة 5 :..... و انظروا إلى ما جد على هذا الزمن الغيبة عن مجالس العلماء والمزاحمة بالركب لأهل التقوى و عصابة الهدى حاملين السنن القائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم فأفش لتمسكهم بمناهج السلف اللاحقة السنن، و لا نعتزوا بمن ينسب إلى العلم و قد اتبع في طاعة النسوان و الصبيان هواه قصده ذلك عن أن يكون قواماً لله بالقسط و لو أن و الله تعالى يتداركنا بتوبة نصوحة تلحقنا برداء تقواه فيما أعانهم التوفيق، و لا القريب المرشد، و لا الرفيف، و أن يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد خيرة الله من خلفه و ذلك من شكر نعم الله علينا بعض واجبه و حقه، هاديهم من ضلالتهم و مرشدهم من عيبهم، العزيز عليه عنهم الحريص على هدبهم الشديد عليه ضلالتهم و فتنتهم...".

الورقة 6 : .....و أعملت الفكر فيما يشغل عن هذه البدع و يدفع في صدر هذا المنكر، و لو بأمر صباح ليس على فاعله جناح، بما تطمئن إليه نفوسهم و تمتد إليه أعناقهم و تميل رؤوسهم، فعلم الله ألنية و أطلع على[1]الطوية فألهمني سبحانه أن أنبههم على أمر إذا تقرر لديهم قامت الحجة عليهم ديناً و دنيا، و انقطع العذر إذا تعرضوا من أحسن عوض، يقوم به الشفاء و يطعن به المرض، فيهتهم على ميلاد نبيهم المصطفى سيد ولد آدم، خاتم النبيين، و أم من العجب الإقبال على مالا ينبغي و الأعراض عما وجب فكثيراً ما يسألون عن ميلاد عيسى على نبينا و عليه السلام و ينتظرون الانتهاء إليه من الأيام، فيا أمة محمد، و يا خيرة الأمم كفى بنا حفاء إن لا نعرف ميلاد نبينا عليه أفضل الصلاة و السلام و لا نعرفه و هو أهم و نتعرف ميلاد غيره من الأنبياء، كميلاد عيسى و يحي بن زكريا، و

[1] احمد العزفي السبتي ، (557هـ_ 633هـ) ، الدر المنظم في مولد النبي المعظم ، المخطوطة رقم 1741 في مكتبة الاسكوريال ،

لا علم لنا بهم فبينما جاء من الأنبياء، أو لم يكن سؤالهم عن ميلاد نبيهم عليه أفضل الصلاة و أطيب السلام"[1].

[1] احمد العزفي السبتي ، المخطوطة رقم 1741

المطلب الثالث : نماذج الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف

جعل المغاربة هذا اليوم ميعاداً لمهمات أشغالهم، و مناسبة لختان أطفالهم[1]، و هذه ثلاثة نماذج من احتفالات بعض المؤسسات الشعبية بهذه المناسبة :

1. الكتاتيب القرآنية :

كانت الكتاتيب القرآنية تزين لهذه المناسبة، و تضاء بالشموع و يجتمع أطفالها لترديد الصلوات النبوية، كما يتقدم أحدهم، ممن هو حسن الصوت، لترتيل عشر من القرآن الكريم، ثم ينشد قصيدة في مديح السيد الرسول صلوات الله عليه و آله و سلم، هذا ما يؤخذ من سؤال رفع للفقيه أحمد القباب الفاسي في هذا الصدد[2].

و هناك توضيحات لبعض نقط هذا الوصف، وردت عند الحسن بن محمد الوزان الفاسي "ليون الإفريقي"، حيث يذكر أنّ المعلم يأتي بمنشدين يترنمون بالأمداح النبوية طول الليل، و يعطي كل أب لولده شمعة كبيرة تساوي ثلاثين إبرة، و منها ما يساوي أكثر أو أقل، على حسب ثروة الأب، و على الشمعة نقوش و زخرفة بالألوان و الخطوط الهندسية، و صور أزهار بارزة من الشمع، و هي توقد من أول الليل الى الشروق، و ما بقي من الشمع يأخذه المعلم و يبيعه، و ربما اجتمع لديه من ذلك 200 دَكَّةٌ[3] فأكثر، على حسب كثرة تلاميذه[4].

و الغالب أنّ هذا الشمع صارت له أهمية خاصة مع مر الزمن في المغرب الأقصى و الأوسط، قال الونشريسي معقباً على أحد النصوص : "يظهر من هذا الكلام

---

[1] محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص525.

[2] أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس والمغرب، ج12، ط. ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1401هـ- 1981م، ص 33.

[3] الدكة : تزن ثلاثة أجرام و نصف ذهباً حسب تعليق "حياة الوزان الفاسي و آثاره".

[4] محمد المهدي الحجوي، حياة الوزان الفاسي و آثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1354هـ-1935م ، ص 87-88.

القضاء بالشمع للمعلمين على آباء الصبيان في ميلاد النبي صلى الله عليه و سلم، لأنّه معتاد ببلاد المغرب الأوسط و الأقصى، و لا نزاع في انتصاب المعلمين لأجله"[1].

2. الجماعات الصوفية :

دأب الصوفية – بدورهم – على المساهمة في هذا الموسم، فقد كان أبو مروان عبد الملك الريفي يقيم –بمنزله بسبتة– المولد النبوي، بحضور المريدين و من إليهم، ويحتفل لذلك بالإطعام و إنارة المكان بقناديل الزجاج و الشموع، و يستعمل السماع و هو من تلامذة أبي محمد صالح الماجري دفين أسفي[2].

و ورد في المعيار سؤال عن جماعة منقطعين –بمكان– إلى العبادة، و يجتمعون في المولد و شبهه للوعظ و التذكير، و ربما أنشد لهم منشد أشعاراً في المديح النبوي و ما يناسب ذلك مما بحث على الطاعة، و كان السائل : القاضي أحمد بن العجل الوزروالي، و المجيب هو الإمام عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، و كلاهما كانا يعيشان بفاس أواسط القرن التاسع للهجرة[3]، و عن جنوب المغرب يذكر القسمطيني أنّ شهر ربيع النبوي لعام 769هـ/1367م، كان هو الميعاد الذي صادفه لعقد مؤتمر صوفية المغرب الأقصى، و كان ذلك بدكالة على ساحل المحيط[4].

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج 8، ص 160.

[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 525–526.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 37.

[4] أبي العباس أحمد الخطيب، أنس الفقير و عز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، المملكة المغربية ، الرباط ، 1965م ، ص 71.

3. شعراء الملحون :

و كان يجتمعون ليلة المولد النبوي بقاعة سيدي فرج بالعطارين من فاس، ليتناشدوا إشعارهم في المديح النبوي بمكان مخصوص هناك، حسب ذكر الحسن بن محمد الوزان الفاسي عن عادة شعراء الملحون في وقته أيام الحكم الوطاسي، و الغالب أنّ هذه العادة ما هي إلا امتداد لتقليد نشأ في هذه الفترة المرينية[1].

أما مظهر و تجليات الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب فأجمل بعضها فيما يلي:

- يصف ابن عذارى المراكشي هذا الاحتفال قائلاً : "يطعم فيه أهل بلده ألوان الطعام، و يؤثر على أولادهم ليلة يوم المولد السعيد بالصرف الجديد من جملة الإحسان عليهم و الأنعام، و ذلك لأجل ما يطلقون المحاضر و الصنائع والحوانيت، يمشون في الأزقة يصلون على النبي عليه السلام، و في طول اليوم المذكور يسمع المسمعون لجميع أهل البلد مدح النبي "عليه السلام"، بالفرح والسرور و الإطعام للخاص و العام، جار ذلك على الدوام، و في كل عام من الأعوام.

- كان من العادة أن يتم الاستعداد للحفل بأنواع مختلفة من المطاعم و الحلويات وأنواع الطيب و البخور، مع إظهار الزينة و التأنق في إعداد المجالس.

* جلوس الحاضرون في مكان الاحتفال حسب مراتبهم في أحسن زي.

* تلاوة القرآن الكريم و الصلاة على سيد المرسلين و إنشاد قصائد المديح و تقديم التهاني بليلة المولد.

[1] محمد المهدي الحجوي، المرجع السابق، ص 80.

* اقتسام الفقراء و المعوزين ما فضل من البخور و الشموع و غيرها.

* جلوس الكتاب لتوزيع الهدايا و الكسوة على الأشراف و الأعيان و الفقهاء في صباح سابع المولد[1].

و لقد كان تبني أعلام سبتة الاحتفال بالمولد النبوي نابعًا من طبيعة المغاربة الذين شبوا على اعتناق المالكية و التعلق بالحضرة النبوية، و كذا رفضهم للآراء المذهبية التي ابتدعها ملوك الموحدين الأوائل، و في ذلك ما ينسجم مع صنيع القاضي عياض في العهد المرابطي، و ما العهد ببعيد الذي ألف كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و قد تولع المرتضى بهذا الاحتفال و أصبح يقوم بليلة المولد خير قيام، ويفيض فيها الخير و الانعام حتى وقف في حضرته ذات يوم الأديب الأندلسي أحمد بن الصباغ الجذامي منشدًا إحدى روائعه بمناسبة المولد النبوي فقال في مطلعها :

تنعم بذكر الهاشمي محمـد ففي ذكره العيش المهنأُ و الأُنْسُ
أيا شاديًا يشدو بأمداح أحمـد سماعك طب ليس بعقبه نكسٍ
فكرر رعاك الله ذكر محمـد فقد لذت الأسماع و ارتاحت النفس
و طاب نعيم العيش و اتصل المنى و أقبلت الأفراح و انتعش الحس
لقد عجزت عن أن تحيط بوصفه و أمداحه الأقلام و النفس و الطرس
أيا سامعي ذكر الحبيب تأهبوا و قوموا بنا نشكو فقد سامنا اليأس
وقوفًا على الأقدام في حق سيد تعظمه الأملاك و الجن و الإنس
و تعنوا له الأفلاك عزًا وهيبة إذا ما بدا و النجم و البدر و الشمس[2]

[1] محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، كلية الآداب بجامعة سقرسطا، طبع في مكتبة الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1401هـ/1981م، ص 281.

[2] ديوان ابن الصباغ الجذامي، من شعراء دولة الموحدين في المغرب و الأندلس في الزهديات و المديح النبوي، ط1، دار الأمين للطباعة ، 1419هـ/1999م ، ص 15.

و قد عرف السماع و المديح ازدهاراً كبيراً على العهد المريني ثم الوطاسي من بعده، فكان الملوك أنفسهم يرأسون مهرجانات المولد ليلة الثاني عشر من ربيع الأوّل، كما أصدر السلطان أبو يعقوب يوسف المريني المتوفي سنة 691هـ أمراً بوجوب إحياء ليلة المولد النبوي و اعتبارها عيداً رسمياً كعيدي الفطر و الأضحى و أصبح ملوك الأندلس يحتفلون في الصنيع و الدعوة و إنشاد الشعر اقتداء بملوك المغرب، و قد أضاف أبو سعيد المريني الاحتفال باليوم السابع من العيد، و إلى ذلك يشير أبو العباس أحمد بن عبد المنان المتوفي عام 792هـ في قصيدة يخاطب بها أبا عنان فيقول :

- و موسم جل قدرا بإعتناك به
- راقت لياليه و إزدانت سوابعه[1].

و سوف يبلغ فن المديح و السماع قمة اكتماله في عهد الشرفاء السعديين، و ذلك عندما اتخذ المنصور السعدي من عيد المولد النبوي أكبر احتفال رسمي للدولة و الأمة، فكان يقيم في قصره بمراكش الحفلات الفخيمة، يزينها بالشموع الموقدة، و إنشاد القصائد و المولديات.

أما عبد العزيز القشتالي مؤرخ الدولة السعدية و شاعر بلاط المنصور فقد أتى بما يذهل الألباب في كتابه "مناهل الصفا" إذ يقول : و الرسم الذي جرى به العمل ..... أنّه إذا طلعت طلائع ربيع الأول..... توجهت العناية الشريفة إلى الاحتفال له بما يربي على الوصف ..... فيصير الرقاع إلى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية من المؤذنين النعارين في السحر بالأذان.... حتى إذا كانت ليلة الميلاد الكريم..... تلاحقت الوفود من مشايخ الذكر و الإنشاد..... و حضرت الآلة الملوكية.....

[1] فتح الله البناني، فتح الله في مولد خير خلق الله، ط1، بالمطبعة الحميدية المصرية، 1323هـ، ص 161.

فارتفعت أصوات الآلة و قرعت الطبول، و ضج الناس بالتهليل و التكبير والصلاة على النبي الكريم ..... و تقدم أهل الذكر و الإنشاد يقدمهم مشايخهم ..... و اندفع القوم لترجيع الأصوات بمنظومات على أساليب مخصوصة في مدائح النبي الكريم صلى الله عليه و سلم، يخصها اصطلاح العزف بالمولديات نسبة إلى المولد النبوي الكريم، قد لحنوها بألحان تخلب النفوس و الأرواح، و ترق لها الإطلاع، وتبعث في الصدور الخشوع، و تقشعر لها جلود الذين يخشون ربهم، و يتفننون في ألحانها على حسب تفننها في النظم، فإذا أخذت النفوس حظها من الاستمتاع بالألحان المولديات الكريمات تقدمت أهل الذكر المزمزمون بالرقيق من كلام الشيخ أبي الحسن الششتُري رضي الله عنه و كلام القوم من المتصوفة أهل الرقائق، كل ذلك تتخلله نوبات المنشدين للبيت من نفيس الشعر. [1]

[1] عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تح: عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية و الثقافة، المملكة المغربية ،الرباط ، صص 236-238.

الفصل الثاني :

المطلب الرابع : موقف علماء المغرب من عمل المولد النبوي

إنّ المولد قد أثار معارضة بعض العلماء، باعتباره "بدعة" لكن هذه المعارضة لم تكن تنتقد سوى المظاهر الخارجية للاحتفال، و خاصة تلك المرتبطة بالممارسة الصوفية (رقص، سماع و استعمال آلة اللهو) عند الاجتماع في ليلة المولد، كما أنّ هناك من أنكره خفية وقوع المناكر و اختلاط النساء و الرجال و عندما ترسخ العيد في التقاليد الدينية، لم يجد المدافعون عنه صعوبة في إيجاد نوع من الإجماع" عليه و على فوائده فتتم الإشارة إلى الخدمات التي يُسديها عن طريق إطعام الفقراء، و الاستكثار من الصدقة و أعمال البر و قراءة القرآن، و إلى مظاهر الفرح التي يدخلها على القلوب فرحة كان الفقيه المؤسس يريدها أن تمس قلوب الأطفال قبل كل شيء[1].

[1] محمد الشريف، المرجع السابق، ص 194.

لم تتفق كلمة علماء المغرب حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، و كان فيهم من ينكر ذلك، غير أنّ الذين لم يعارضوه أوصوا بالاحتراس من تسرب البدع إلى حفلاته.

"سمعت شيخنا الإمام، أبا موسى ابن الإمام –رحمة الله عليه– و غيره من مشيخة المغرب : يحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب، و ما وضعه العزفي في ذلك و اختاره، و تبعه فيه ولده الفقيه أبو القاسم– و هما من الأيمة– فاستصوبوه واستحسنوا مقاصده فيه، و القيام بها، و قد كان نقل عن بعض علماء المغرب أنكاره، و الأظهر – في ذلك عندي– ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضًا، و قد وقع الكلام في ذلك فقال ما معناه :

لا شك أنّ المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حسن، إلاّ أنّ المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، و القيام بإحياء سنته، و معونة آله ومساهمتهم و تعظيم حرمتهم، و الاستكثار من الصدقة ..... و فك العاني، و نصر المظلوم : هو أفضل مما سوى ذلك مما أحدث، إذ لا يخلو من مزاحم في النية، أو مفسد للعمل، أو دخول الشهوة، و طريق الحق و السلامة معروف، و لا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر، و الاستكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، ليحضى المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها"[1].

[1] أحمد باب التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، 2000 م، ص 193.

و ما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزمن من الاجتماع في المكاتب للأطفال، إلا حنيفة المناكر و اختلاط النساء و الرجال، فأما إذا أمن ذلك فلا شك في حسن ما يفعل من الاجتماع، و ذكر محاسنه و الصلاة عليه – صلى الله عليه و سلم– في سائر البقاع، و يحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة، و لا يجوز تعظيم نبي الله تعالى إلاّ بما يرضيه و يرضى الله تعالى، بل تنبغي الصدقة في السّر بما يعمل في تلك الأيام من الأطعمة، فإنّ ذلك أسلم من فساد النيات، و من حضور الجماعات"[1].

"إنّ السلف الصالح لم يفعلوا في ليلة المولد شيئًا زائدًا على ما يفعلونه في سائر الليالي لأنّ النبي إنّما يعظم بالوجه الذي شرع في تعظيمه، و هم قد اختلفوا في تعين ليلة ولادته، و لو شرعت فيها عبارة لعينها الصحابة و حققوا..... إن تلك الليلة تقام على طريقة الفقراء، و طريقة الفقراء في هذه الأوقات شنعة من شنع الدين، لأنّ عمدتهم في الاجتماع إنّما هو الغناء و الشطح، و يقررون لعوام المسلمين إنّ ذلك من أعظم القربان، و أنّها طريقة أولياء الله و هم قوم لا يحسن أحدهم أحكام ما يحب عليه في يومه و ليلته، بل هم ممن استخلفهم الشيطان على إضلال عوالم المسلمين و إذا يزينون لهم الباطل، و يضيفون إلى دين الله ما ليس منه، لأنّ الغناء و الشطح من باب اللهو و اللعب و هم يضيفون إلى أولياء الله، و هم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا بذلك إلى أكل أموال النّاس بالباطن فصار الحبيس عليهم ليقوموا بذلك طريقتهم تحبيساً على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما[2].

[1] الونشريس، المصدر السابق، ج11، ص 211.

[2] محمد بشير حسن راضي العامري، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء للنشر و التوزيع، بغداد، 1433هـ/2012م، ص 20.

حبس في هذا الباب على هذه الطريقة و يستحب لهذا المحبس أن ينصرف هذا الأصل من القوت إلى باب آخر من أبواب الخير الشرعية و إن لم يقدر على ذلك فيفعله لنفسه.

"اتفقت آراء و فتاوى العلماء و الفقهاء الأندلسيين و أفكارهم و تشريعاتهم وتوجيهاتهم مع ما جاءت به المصادر المشرقية في محاربة البدع و العادات و التقاليد الغريبة عن تعاليم الإسلام في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، و قد صنف الإمام السيوطي رسالته الموسومة بعنوان "حسن المقصد في عمل المولد" منتقداً فيها كل البدع التي تقام في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، عاد اجتماع الناس لتلاوة القرآن الكريم و مراجعة الأحاديث النبوية الشريفة و السيرة المحمدية العظيمة، ثم تناول الطعام البسيط بين الفقراء من الأعمال الحسنة الطيبة، حيث تترسم بذلك آيات التعظيم والتقديس لتلك الليلة المباركة مع إظهار الفرح و البهجة لها[1].

" إنّ عمل المولد بدعة مذمومة"[2] "لأنّ بعضهم قد خرج في ذلك إلى حدّ الإسراف و الغلو"[3].

[1] محمد بشير حسن راضي العامري، المرجع السابق، ص 21.

[2] عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري، المورد في عمل المولد، تح : علي بن حسن بن عبد الحميد، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1419هـ/1998م، ص 30.

[3] محسن جمال الدين، في رياض الأندلس، احتفالات الموالد النبوية في الأشعار الأندلسية و المغربية و المهجرية، ط1، دار البصري، بغداد، 1967م، ص 22.

"يسأل الولي العارف بالطريقة و الحقيقة أبو عبد الله ابن عباد – رحمه الله– و نفع به عما ينفع في مولد النبي من وقود الشمع و غير ذلك لأجل الفرح و السرور بمولده عليه السلام؟

فأجاب : الذي يظهر أنّه عيد من أعياد المسلمين، و موسم من مواسمهم، و كل مما يقتضيه الفرح و السرور بذلك المولد المبارك من إيقاذ الشمع و إمتاع البصر و تتره بالسمع و النظر و التزيين بما حسن من الثياب و ركوب قارة الدواب، أمر يباح و لا ينكر، قياساً على غيره من أوقات الفرح و الحكم بأنّ هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه الوجود و ارتفع فيه علم العهود، و تقشع بسببه ظلان الكفر و الجحود، ينكر على قائله لأنّه مقت و جحود و إدعاء أنّ هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، و مقارنة ذلك بالنيروز و المهرجان، أمر قد ثقل تشمئز منه النفوس السليمة و ترده الآراء المستقيمة[1].

كما أكد الفقيه الونشريسي على أنّه لا يجوز الصيام في ليلة المولد النبوي الشريف و ذلك لأنّ هذه الليلة يوم فرح و سرور حيث أنكر الفقيه ابن عباد ذلك عندما استدعى إلى مائدة طعام عملت بمناسبة ليلة المولد النبوي الشريف فاعتذر أحد الحاضرين عن تناول الطعام قائلاً لابن عبادة أنّه صائم، فأجابه ابن عباد : بأنّه لا يستحسن الصيام في مثل هذا اليوم المبارك لأنّه عيداً من المسلمين، و الاقتداء بالمثل العليا و الأخلاق الفاضلة و العطف على الفقراء لأهميتها و الحث على مساعدة الفقراء و اليتامى و المساكين من المسلمين[2].

[1] الباديسي، المقصد الشريف و المنزع الشريف في التعريف بصلحاء الريف، تح : سعيد أحمد عراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1402ه/1982م، ص 100.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 279–280.

الخاتمة :

قام أبو القاسم العزفي بدور مهم للغاية في تاريخ سبتة اعتباراً من النصف الثاني من القرن 13م خلال سنوات الاضطراب التي انسحب فيها الموحدون من الساحة السياسية على جانبي المضيق لكي يتركوا المجال لبني مرين.

إلى جانب أهمية أبي القاسم العزفي في مجال التاريخ السياسي، فإنّ نشاطه الديني ليس أقل أهمية فقد أرسى فيغرب الإسلام عيد المولد النبوي الذي يحتفل به حتى الآن في قلب الإسلام في المغرب، حيث كرس جهده كله خلال سنوات حكمه 647-677هـ/1249-1278م، لكي يأخذ الاحتفال بعيد المولد النبوي صفة طبيعة و أن يقضي بذلك على معظم الأعياد المسيحية التي كان المسلمون يعتبرونها أعيادهم.

و بذلك اسدل الستار على تاريخ مجيد، و حضارة لامعة عرفتها مدينة سبتة جوهرة المغرب لتكون أوّل أرض تستعمر في المغرب العربي و أوّل بلد إفريقي يستولى عليه المستعمر الأوربي.

العنوان : آل العَزْ في حكام سبتة و دورهم في دعم الحركة العلمية

الفهرس	الصفحة
المقدمة	
الفصل الأوّل : نشأة و تكوين إمارة العزفيين بسبتة	
المطلب الأوّل : نشأة الإمارة	7
المطلب الثاني : تطورات الأوضاع الداخلية في سبتة	10
المطلب الثالث : علاقات إمارة العزفيين	
أ. مع الموحدين	13
ب. مع المرينيين	16
ت. مع بني الأحمر في غرناطة	19
المطلب الرابع : سقوط إمارة العزفيين	23
الفصل الثاني : الحركة العلمية بإمارة العزفيين	
المطلب الأوّل : الدور الحضاري لإمارة العزفيين	26
المطلب الثاني : الاحتفال بعيد المولد النبوزي الشريف	30
المطلب الثالث :نماذج الاحتفال بعيد المولد	34
المطلب الرابع :موقف العلماء المغرب من	40

عمل المولد النبوي	
الخاتمة	46
قائمة المصادر و المراجع	48